في الحقيقة يؤمن المسيحيون بالله الواحد ، ويعترفون في صميم عقيدتهم المسيحية بأن " لا إله إلا الله " ، وهم في ذلك يعتمدون على الكتاب المقدس ، الذي يعلن دائماً وأبداً "*لأنه يوجد إله واحد* " (1 تيموثاوس 2 : 5) .

إن الإيمان بعبادة الله الواحد يضرب بجذوره في التاريخ ، كعقيدة روحية هامة في تاريخ العبادة ، وتاريخ الإنسانية . وترجع عبادة الله الواحد ، إلى النبي إبراهيم ، خليل الله . فمنذ دعوة الله لإبراهيم لكي يترك أرضه وعشيرته (بكل ما تعنيه هذه الدعوة من معان وبكل ما تحمل من تداعيات) نجد تحولاً في تاريخ العبادة بشكلٍ عام ، ومفهوم وحدانية الله بشكلٍ خاص .

التوحيد عند النبي إبراهيم

وُلد إبراهيم وعاش ، وسط مجتمع لا يعرف الإيمان بالله الواحد ، بل كانوا يعبدون آلهة كثيرة ومتعددة ، يكتب الكتاب المقدس موضحاً الحالة التي كان عليها آباء إبراهيم فيقول :" هكذا قال الرب إله إسرائيل : آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر . تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور ، وعبدوا آلهة أخرى . فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان .. " ثم يواصل حديثه مؤكداً على أهمية عبادة الله الواحد فيقول :"*فالآن اخشوا الرب واعبدوه بكمال وأمانة ، وانزعوا الآلهة الذين عبدها آباؤكم في عبر النهر وفي مصر ، واعبدوا الرب* " (يشوع 24 : 2 -3 ، 14) وسط هذه البيئة التي لا تؤمن بالله الواحد ، نشأ وترعرع إبراهيم ، إلا أن الكتاب المقدس يُعلن أن الله قد اختار إبراهيم ليؤسس به شعباً خاصاً يكون الله الواحد إلهه ، ويكون هذا الشعب منارة وسط الشعوب الأخرى ليعلن أن الله واحد .

إذاً ، كانت مبادرة إعلان الله عن ذاته ، تنم عن نعمة ومحبة إلهية خاصة ، وكان في تجاوب أبرام مع هذه المبادرة ما جعل الله يدخل في عهدٍ معه ، ويُجزل له العطاء والبركات ، ويُغير اسمه ليصبح " إبراهيم " ، بدلاً من " أبرام " ، وليدخل معه في علاقة صداقة حميمة ، تجعل من إبراهيم صديقاً لله ، ولتمنحه الأجيال وكتّاب الكتاب المقدس ، لقب " خليل الله " .

لقد أظهرت حياة إبراهيم ، طاعة الله ، ومعرفة بأنه هو ، "*الرب الإله العلي ، مالك السماء والأرض* " (تكوين 14 : 22) ؛ وجاء أبناء إبراهيم وحفدته من بعده ، يؤمنون بالله الواحد ، وإذ تفرقوا في أرجاء الأرض حملوا معهم إيمانهم بالله ، الذي أعلن عن نفسه أنه الإله الواحد الذي لا شريك له .

الإعلان الإلهي وعقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم

تأتي المبادرة الإلهية كالأساس الذي نبني عليه إيماننا بالله الواحد ، فبدون الإعلان الإلهي ، لا يمكن للمرء أن يعرف الله ، فمصدر الإيمان بالله هو الله ذاته ، فلا يستطيع الإنسان معرفة شئ لم يُعلن عنه ، وهكذا تأتي صعوبة معرفة الله ما لم يُعلن هو عن ذاته ، أن الله أعلن عن ذاته ، بدءاً من عصر الآباء بأنواع وطرق كثيرة وذلك من خلال :

1)<u>الإعلان العام :</u> وهو الإعلان الذي كشف به الله عن نفسه من خلال :

ـ الطبيعة : يكتب الوحي المقدس عن ذلك قائلاً : " *السماوات تُحدث بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يديه . يوم إلى يوم يُذيع كلاماً وليل إلى ليل ٍ يُبدي علماً* " (مزمور 19 : 1 - 2) .

ـ التاريخ : ويُقصد به معاملات الله مع الإنسان من خلال خبرته التاريخية ، يقول الكتاب المقدس " *أنه لم يترك نفسه بلا شاهد* " (أعمال 14 : 17) .

2)<u>الإعلان الخاص :</u> ويوجد مصدران لهذا الإعلان :

ـ المصدر الأول : هو التجسد ، حيث إن الله عرفنا نفسه بشكل واضح وجلى من خلال تجسد المسيح .

ـ المصدر الثاني : هو كلمة الله المكتوبة والمصدق عليه من المسيح نفسه .

ويؤكد الإعلان الإلهي ، في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ، أن الله واحد ، لكنه يؤكد أيضاً ، أن الله لم يكتفِ بأن أعلن عن نفسه كالإله الواحد ، وإنما تكرر الإعلان عن نفسه ثالوثاً ، إذاً لا يمكن اعتبار أن عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم في المسيحية قد جاءت نتيجة لدراسة فلسفية أو فكرة عقلانية بحته ، فهذا الأمر ليس سهلاً على العقل أن يقبله ، إنما مصدر هذه العقيدة يعود إلى الله ذاته ، فالله هو من أعلن عن نفسه إلهاً مثلث الأقانيم ، ثالوثاً ، وليس تثليثاً ، وفي دفاع المسيحيون عن وحدانية الله المثلث الأقانيم ، إنما يعلنون إيمانهم بالله الواحد كما أعلن هو ذلك عن نفسه في كلمته ، الكتاب المقدس .

وبما أننا لا نملك أن نعرف عن الله غير الذي يُعلنه هو بذاته ، وعن ذاته لنا ، فما علينا سوى أن نقبل أو نرفض إعلان الله ، وفي إيماننا المسيحي فإننا نقبل شهادة الله وإعلانه عن نفسه ، ونؤمن به كما هو ، دون زيادة أو نقص ، دون تعديل أو تحريف .

ويشهد تاريخ المسيحية ، كيف قاومت الكنيسة ، وبشدة كل من نادى بوجود أكثر من إله ، إيماناً بهذه العقيدة الجوهرية في الإيمان المسيحي ، عقيدة وحدانية الله ، فالله هو واحد ، وهو خالق العالمين بكلمة قدرته ، وهو سيد التاريخ ، وإليه يرجع مصير الإنسان .

وحدانية الله المثلث الأقانيم في المسيحية ليست تثليثاً

السؤال الذي يطرح نفسه : ما هو المقصود بالتثليث ؟ وإلى أي عقيدة يُشير ؟

إن التثليث هو الإيمان بوجود ثلاثة آلهة ، لكل واحد منها دور في الخلق ، أو الحياة ، وما شابه ذلك ، وقد وُجد الإيمان بثلاثة آلهة في التاريخ البشري ، وفي ديانات عديدة ، وفي أماكن وأزمان متباعدة .

إن "تثليث الشئ" هو تجزئة هذا إلى ثلاثة أجزاء ، وعند الكلام عن "التثليث" إنما نعني تجزئة الله ، إلى ثلاثة ، أو جعل الله ثالث ثلاثة ، وهذا ما يرفضه الإيمان المسيحي القويم ، الذي يعترف بالله الواحد ، ويرى أن كل تفسير لطبيعة الله المثلثة يُنكر وحدانيتها ، لا يمكن اعتباره تفسيراً صحيحاً للإيمان المسيحي .

أما عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم في المسيحية ، فيؤكد أنه لا يوجد سوى إله واحد ، أعلن عن نفسه ، في ثلاثة أقانيم الآب والابن والروح القدس ، هذه الأقانيم لا نعني بها ثلاثة آلهة ، أو ثلاثة أرباب ، أو ثلاثة أجزاء في جوهر الله ، وهم ليسوا ذوي جواهر منفصلة داخل الجوهر الإلهي إنما الأقانيم الثلاثة متساوون متناظرون في السرمدية ، حتى إننا نعبد الواحد في الثالوث ، والثالوث في الواحد .

التثليث عند الآخرين

ظهرت عقائد التثليث وتعدد الآلهة منذ فجر التاريخ ، ورغم أنها (في ظاهرها) تشبه عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم في المسيحية ، إلا أنها تنادي بما لا تنادي به المسيحية ، وتؤمن بما لا تؤمن به المسيحية ، وفيما يلي دراسة لعقيدة التثليث ، كما أوردتها بعض ديانات الشرق القديم ، وبعض الهرطقات التي ظهرت في تاريخ المسيحية ، لنتعرف من خلالها على الاختلاف بين تلك المفاهيم وبين ما يؤمن به المسيحيون من وحدانية الله التي هي أساس وجوهر الإيمان المسيحي .

1)<u>التثليث في ديانات الشرق القديم</u> : وُجدت في الديانات الشرقية ، أصداء لما يُسمى بالتثليث فقد آمنت بعض الطوائف الهندية بالتثليث ، في طريقها للبحث عن تحرير النفس من التقيد بأنماط هي شذرات محدودة من الوجود ، إلى الإيمان بوجود قوةعظمى تمنح الكون طاقته ، هذه القوة يطلقون عليها اسم "براهما"، يعتبر براهما أحد ثلاثة آلهة ، براهما الإله الخالق ، وفشنو الإله الحافظ ، وشيفا الإله المدمر .

2)<u>التثليث عند قدماء المصريين</u> : آمن المصريون القدماء بتعدد الآلهة ، وقد آمنوا بالإله رع الذي خلق الإله شو والإلهة نفتوت ، وبتزاوج شو ، ونفتوت ، أنجبا الإله جب ، إله الأرض والإلهة نوت إله السماء ، وبتزاوج إله الأرض وإله السماء أنجبا أوزوريس ، وست ، ونفتيس ، وبزواج أوزوريس من إيزيس أنجبا الإله حورس ، وهكذا سلسلة من الآلهة التي تتزاوج وتنجب آلهة أخرى تتزاوج هي الأخرى بدورها وتنجب .

3)<u>التثليث عند الهراطقة</u> : هو انحراف عن الفكر السليم ، الذي تؤمن به الكنيسة العامة مستندة في ذلك على الكتاب المقدس وفي هذه العقيدة نجد الكثير من الأفكار الهرطوقية ، التي تظهر بصور متعددة من "التثليث" ، ومن هؤلاء الهراطقة الآريوسيون ، واليعقوبيون ، والنساطرة ، والمريميون ، والمرقونيون ، وغيرهم .

ـ التثليث عند المريمين : ظهرت هذه البدعة نحو القرن الخامس الميلادي ، وكانت تعتقد بأن الله تزوج من السيدة العذراء مريم وأنجب منها المسيح ، لذلك آمنوا بالتثليث باعتبار أنه الآب ، ومريم والابن .

ـ التثليث عند المارسيونية : أما طائفة المارسيونية فقد اعتقدت بأن هناك ثلاثة آلهة لكل منها دور فالإله "عادل" هو من أنزل التوراة ، والإله "صالح" هو من أنزل الإنجيل ، أما الإله "شرير" فهو إبليس .

ـ التثليث في المذهب المودالي : ويؤمن هذا المذهب بثلاثة تجليات لإله واحد ، وأقنوم واحد ، كل تجلي من هذه التجليات عُرف باسم خاصٍ به ، فقد ظهر كآب في العهد القديم ، وكابن في العهد الجديد ، وحل على التلاميذ في العلية كالروح القدس .

ـ التثليث عند آريوس : آمن آريوس أن الله واحد غير مخلوق ، أذلي ، هو الآب ، وهو خالق كل الأشياء ، ومنه خُلق الابن ، الذي رفعه وأعطاه منزلة الألوهية ، التي امتاز بها عن سائر الخلائق واستحق العبادة من البشر ، والروح القدس أقل مرتبة من الابن ، وهو مخلوق أيضاً .

الثالوث في اليهودية

إن جذور عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم متأصلة في الفكر اليهودي ، فنرى الإيمان العبري بالله الواحد ، وفي نفس الوقت يُعبر هذا الإيمان عن نفسه في عقيدة "وحدانية الله المثلث الأقانيم" ، الآب والابن والروح القدس . ورغم أن اليهود لم يدركوا في إيمانهم أبعاد هذه العقيدة ، إلا أنه كان موجوداً وفي المقاطع التالية من العهد القديم يمكننا أن نميز بوضوح اللفظ والمعنى ، الإيمان اليهودي ، غير المدرك بعقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم كما عبرت عنها المسيحية فيما بعد .

1)الآب : يأتي الإيمان بالله الآب في العهد القديم كالله الخالق والمدبر لشؤون العالم ، لذلك نجد النبي إشعياء يُخاطب الله قائلاً :"*والآن يا رب أنت أبونا نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك* " (إشعياء 64 : 8) .

2)الابن : ترد إشارات متعددة عن أقنوم الابن منها ما ذكره داود النبي بالروح القدس قائلاً :"*أنت ابني . أنا اليوم ولدتك* " (مزمور 2 : 7) .

3)الروح القدس : جاء ذكر الروح القدس في العهد القديم مراراً كثيرة ، ففي البدء " *... روح الله يرف على وجه المياه* " (تكوين 1 : 2) .

عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم في المسيحية

إن الكنيسة وهي تستمد عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم من الكتاب المقدس ، ترى أن أساس هذا التعليم هو ظهور السيد المسيح ابن الله ، الذي كان في حضن الآب ، لذلك هو وحده الذي أمكنه أن يخبرنا بالحق عن ماهية الله ، وقد سجل الوحي المقدس ما قاله السيد عن ثالوث الله ، حين أوصى

تلاميذه بالإرسالية العظمى ، إذ قال : "*دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس* " .(متى 28 : 18 - 19) .

والسؤال الآن هو : ما هو الإيمان المسيحي بالله ؟ وعلى أي حقائق كتابية يرتكز المسيحيون ؟

1)الله واحد لا شريك له : وحدانية الله ، هذا هو ما يعلنه المسيحيون ويؤمنون به ، ويتمسكون به بوضوح . الله واحد لا شريك له ، هذا الإيمان لم ولن يتزعزع أبد الدهر ، ويؤكد الكتاب المقدس هذا الإيمان بكل وضوح وجلاء ، وإليك العديد من الشواهد الكتابية التي تؤكد أن الله إلهنا إله واحد .

الله الواحد في العهد القديم :

"*الرب إلهنا رب واحد* " (تثنية 6 : 4) ، "*أنا أنا وليس غيري مخلص* " (إشعياء 43 : 11) .
"*انظروا الآن ! أنا أنا هو وليس إله معي* " (تثنية 32 : 39) .

الله الواحد في العهد الجديد :

"*لعلم أن ليس وثن في العالم وأن ليس إله آخر إلا واحداً* " (1كورنثوس 8 : 4) . " *...ولكن الله واحد* " (غلاطية 3 : 20) ، "*أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل* " (يعقوب 2 : 19) .

2)الله الواحد ، ثالوثاً : كما يُعلن الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد أن الله واحد ، فإنه يؤكد أن هذا الواحد ، إنما هو ثالوث ، وهذا ليس معناه أن الله ثالث ثلاثة ، أو أنه ثلاثة آلهة ، أو أنه إله واحد ظهر في ثلاث هيئات أو تجليات ، ولنلق الآن نظرة على ما كتبه الوحي المقدس ليؤكد فيه على أن الله الواحد هو نفسه الله الثالوث ، سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد .

الله الواحد الثالوث في العهد القديم :

"*في البدء خلق الله السماوات والأرض*"(تكوين 1 : 1) ، "*وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا* " (تكوين 1 : 26) .

ويمكن أن نُسجل بعض الملاحظات التي جاءت عن عقيدة الثالوث كما جاءت في العهد القديم :

ـ لفظ الجلالة "الله" المذكورة في تكوين 1 :1 في اللغة العبرية تأتي في صيغة الجمع .

ـ لاحظ أيضاً أن الكلمات ، (نعمل ـ صورتنا ـ كشبهنا) تأتي أيضاً في صيغة الجمع .

ـ هذه الصور والتعبيرات لا تدل على صيغة التعظيم ، أو التفخيم ، فلم تكن هذه الصيغ معروفة آنذاك .

ـ عندما استخدم فرعون لغة ليعبر بها عن نفسه ، كان يستخدم صيغة المفرد ، حتى عند إصدار أوامر ملكية فرعونية ، لم يستخدم صيغة التعظيم .

ـ لقد استخدم الله ذاته في أكثر من موضوع الكلام عن نفسه بصيغة المفرد ، حين قال : "*أنا تُرس لك* " (تكوين 15 : 1) .

الله الواحد الثالوث في العهد الجديد :

قال المسيح : "*ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي* " (يوحنا 15 : 26) .

"*نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس مع جميعكم . آمين*"
(2كورنثوس 13 : 14) .

معنى كلمة " أقنوم "

لقد ظهرت كلمة "أقنوم" في اللاهوت المسيحي ، مع بدايات القرن الرابع ، ويعود أصل كلمة "أقنوم" إلى اللغة السريانية ، وتستخدم هذه الكلمة للتعبير عن التميز بدون انفصال ، وقد تُرجمت في الكتاب المقدس "جوهر" ، وكانت تعني "طريقة للوجود" ، أو الشئ الموجود بذاته ، والقائم على ذاته ، وحين استخدمت كلمة "برسيونا" في اللاتينية للتعبير عن أي من أقانيم اللاهوت ، كانت تعني حينذاك "طريقة للوجود" ، فعندما نتحدث عن كلمة "أقنوم" أو الأقانيم الثلاثة ، فإننا نعني أن لكل أقنوم تميز "تعين" ، عن الأقنومين الآخرين ، دون انفصال عنهما ، فالكلمة "أقنوم" تشير إلى كائن حي يستطيع أن يقول عن ذاته "أنا" ، وعن الأقنوم الآخر "أنت" ، كما يمكن أن يُقال عنه "هو" ، وهذا ما نراه في الكتاب المقدس ، في قول الله ، "*أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك* " (مزمور2 : 7) .

معنى الوحدانية

ماذا نعني بوحدانية الله ؟ أو ما هو المقصود بالقول إن "الله واحد" ؟

1)الوحدانية المجردة : إن الوحدانية المجردة ، تعني أن لا صفات فيها . ومن يقولون بوحدانية الله المجردة ينأوون بالله عن أن يتصف بأية صفة ، باعتبار أن الله عندما يتصف بصفات معينة ، فإنه يكون إلهاً محدوداً بحدود هذه الصفات ، وهم يقولون بأن الله فوق الوجود ، وفوق العالم ، وفوق الإرادة ، ونقطة الضعف في هذه الصورة من الوحدانية ، أنها تجعل من الله إلهاً غير موجود ، لأن من هو فوق الوجود يكون خارج الوجود ، ولذلك فإن إلهاً مثل هذا لا يمكن أن يكون إلهاً حقيقياً .

2)الوحدانية المطلقة : يؤمن أصحاب هذا الفكر ، بأن الله كائن ، موجود ، ووجوده أمر حتمي ، ووحدانيته مطلقة ، لا حد لها . وهم ينقسمون إلى فريقين عند نسبة الصفات لله ، فمنهم من يقول إن الله ذات تتصف بالصفات السلبية ، كعدم الإرغام ، وعدم الجهل ، وغيرها ، ومنهم من يقول بأن الله ذات يتصف بكل الصفات الإيجابية كالعلم ، والإرادة وغيرها ، على أن هذه الصفات لم يكن لها ظهور أو مجال تعمل فيه ، قبل الخلق ، أي أن صفات الله كانت موجودة منذ الأزل ، لكنها صارت

فاعلة عند الخلق ، لكننا إذا سلمنا بهذه النظرية نكون قد آمنا بأنه في لحظة من الزمن قد حدث تغير في الله ، وحاشا لله من التغيير !

3)الوحدانية الجامعة المانعة : أى الشاملة والجامعة لكل ما هو لازم من صفات الله بالفعل ، بصرف النظر عن وجود الكائنات أو عدم وجودها ، لأنه بذلك يكون منذ الأزل الذي لا بدء له ، عالماً ومعلوماً ، عاقلاً ومعقولاً ، محباً ومحبوباً ، دون أن يكون هناك تركيب في ذاته أو شريك معه ، الأمر الذي يتوافق كل التوافق مع كماله ، واستغنائه بذاته عن كل شئ في الوجود .

إنها وحدانية تتصف بكل الصفات الإيجابية اللائقة بها ، وحدانية لها مميزات خاصة بها . لذلك لا يقصد بوحدانية الله الجامعة المانعة أن هناك آلهة مع الله ، أو أن هناك تركيب في ذاته ، بل يقصد بها أن ذاته الواحدة التي لا تركيب فيها على الإطلاق ، هي بنفسها جامعة مانعة ، أي تتميز بكل المميزات الروحية اللائقة بكمالها ، واستغنائها عن كل شئ غيرها منذ الأزل ، وإذ كان الأمر كذلك فليس في إسناد هذه الوحدانية إلى الله ما يفهم منه أن له شريكاً أو أن به تركيباً .

وحدانية الأقانيم في الذات الإلهية

في الكتاب المقدس إعلان الله المعصوم من الخطأ ، نجد أن الله أعلن عن نفسه مراراً كثيرة مستخدماً صيغة الجمع ، ولو كان الله يريد استخدام هذه الصيغة للتعظيم ، لكانت هذه هي الصيغة المستخدمة دائماً خلال الكتاب المقدس ، لكن الملاحظ أن الله وهو يعبر عن نفسه في الكتاب المقدس لم يكتف بالإشارة لنفسه في صيغة الجمع ، لكنه استخدم أيضاً صيغة المفرد ، كصورة أخرى في التعبير عن ذاته فيقول : "*أنا .. أنا* " (تكوين 15 :1 ، 17 :1) .

من الكتاب المقدس ندرك أن الله يستخدم صيغة الجمع إنما ليؤكد لنا أن وحدانيته ليست وحدانية حرفية جامدة لكنها وحدانية حية متفاعلة وقد آمن بذلك تلاميذ المسيح وهم أصلاً من خلفية يهودية تؤمن بوحدانية الله ، إلا أنهم في المسيح عرفوا يقيناً ما كان مُبهماً عند اليهود ، فعرفوا ومن خلال المسيح ـ كلمة الله ـ معنى الثالوث . كانوا يؤمنون بالآب ، وها هو الله متجسداً فيما بينهم ، واختبروا حلول الروح القدس ، ففهموا معنى وحدانية الأقانيم في الذات الإلهية .

وقد عبر الوحي المقدس عن مفهوم الوحدانية في الثالوث ، بما يُعرف عنه مبدأ التساوي في الأقانيم أو وحدانية الأقانيم في اللاهوت .

ـ التساوي في لقب الله ـ التساوي في الربوبية ـ التساوي في الصفات

ـ التساوي في السرمدية (الأزلية والأبدية) ـ التساوي في امتلاك الحياة

ـ التساوي في عدم التقيد بمكان وزمان ـ التساوي في الأحقية في العبادة

أعمال الله أعمال وحدانية في ثالوث

لقد رأينا كيف أن الأقانيم الثلاثة متساوون ، ونرى أيضاً أن أعمال الله إنما هي أعمال الله الثالوث ، وعندما نتأمل في أعمال الثالوث ، نجد أن الآب والابن والروح القدس ، ولأنهم الله الواحد ، يعملون ذات الأعمال ، فمثلاً في :

1)الخلق :

الآب : إن الآب بالابن عمل العالمين ، "*الله ، بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديماً ، بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شئ ، الذي به أيضاً عمل العالمين* " (عبرانيين 1 : 2) .

الابن (الكلمة) : "*كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان* " (يوحنا 1 : 3) .

الروح القدس : "*ترسل روحك فتخلق . وتجدد وجه الأرض* " (مزمور 104 : 30) .

2)الفداء :

الآب : بذل ابنه

الابن : بذل نفسه

الروح القدس : كُتب عن المسيح أنه قدم نفسه قرباناً للآب بروح أزلي

3)العمل لخلاصنا:

الآب : يجذب الخطاة للمسيح

الابن : يطهر الخطاة ويجعلهم أهلاً للتقرب من الآب

الروح القدس : يعاون المؤمنين على السلوك الذي يتناسب مع طبيعتهم الجديدة

4)عمل المعجزات :

الآب : في الابن يعملها

الابن : يعملها بإرادته الشخصية

الروح القدس : عامل في إجرائها

5)وحدة الثالوث في جميع الأعمال والأقوال

الآب : مهما عمل الآب يعمل الابن

الابن : لا يعمل من ذاته

الروح القدس : جميع أمور الله يعرفها الروح القدس

معنى الأبوة في عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم

عندما نتحدث عن الأبوة في الثالوث ، فإننا نقول "الآب" ، تمييزاً عن "الأب" أو "الوالد" ، وعلينا أن نتعرف على الاختلاف بين معنيين غالباً ما يلتبسان في أذهان الكثيرين ، فهناك فرق بين "والد" و "أب" ، فقد يكون الشخص والداً ، لكنه لا يتصف بصفات الأبوة ، كما قد يكون هناك أب ، وهو لم ينجب أولاداً ، والمعنى هنا أن التوالد حالة فيزيائية جسدية ، بينما الأبوة حالة روحية ، كأن يُقال مثلاً إن " إبراهيم أبو المؤمنين " ، فليس المقصود أن إبراهيم أنجب كل المؤمنين ، لكن لأن إبراهيم كان رائداً في إيمانه ، ونموذجاً في الإيمان ، أطلق عليه "أبو المؤمنين " ، وغير ذلك من أمثلة .

والسؤال الهام الذي يطرح نفسه هو : متى كان الله أباً ؟ هل أصبح الله أباً فقط حينما خلق البشر ؟ أم أن الله كان أباً قبل الخليقة ؟

إذا كانت إجابتنا هي ، إن الله آب بالخلق ، أي أنه صار أباً بعد الخلق ، نكون أخطأنا ، وانزلقنا إلى عدم فهم من هو الله ؟ . إذ أننا بهذا القول نصرح بأن الله متغير ، لأنه أصبح ما لم يكنه ، حاشا لله من التغيير !

وإذا قلنا إن الله كان أباً قبل الخليقة ، منذ الأزل ، يكون السؤال : أب من كان ؟ لأن الآب لا يمكن أن يُطلق عليه آباً من دون ابن ! وإذ وصلنا إلى هذه النقطة ، وانطلاقاً من إيماننا بأزلية الله ، فلابد وأن يكون الابن أيضاً ابن أزلي .

وكما أوضحنا ، إن الأبوة في الثالوث لا تعني أن الله تزوج فأنجب ابناً ، لأن هذه الطريقة من التفكير تعود بنا إلى الاعتقاد بأنه كانت هناك نقطة في الزمن لم يكن فيها الابن موجوداً وهذا ما يجعل الله ليس آباً أزلياً ، أو أن وجود الابن ، جاء نتيجة فعل خارجي قام به الله مع آخر ، وفي هذا ما يجعل من الله معتمداً على غيره في تحقيق أبوته ، وهذا ما يتنافى مع الإيمان بمبدأ الاكتفاء الذاتي في الله .

والأبوة في الثالوث لا يُراد بها أن الآب أقدم من الابن في الزمن ، ولا أعلى منه مقاماً ، لأن الآب والابن واحد في الجوهر الإلهي ، وما هذه التشبيهات إلا لتقريب العلاقة بين أقنومي الآب والابن للعقل البشري ولا يعني هذا أبداً أنهما غير متساويين .

وتُفهم الأبوة في الثالوث على أساس وظيفي ، فالآب يُرسل الابن ، ليحقق إرادته على الأرض ، والابن في طاعة يتمم مشيئة الآب التي من أجلها تجسد جاء إنساناً ؛ كما أن الأبوة في الثالوث تُفهم في إطارها الكياني والجوهري ، على أنها ليست ولادة لجوهر من جوهر آخر ، لأن الجوهر واحد وما ولادة الابن ، ولادة مادية ، إنما تعبير روحي إلهي سرمدي .

معنى البنوة في عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم

يأتي معنى البنوة في الثالوث ، من مفهوم أن خروج الشئ من الشئ يسمى أبناً ، والمسيحية تعلم بأن ابن الله جاء من حضن الآب ، وليس المقصود بكلمة "حضن" المعنى الحرفي ، بل المعنى الروحي وهو التآلف والحب والاتحاد ، وما يتبع ذلك من الإحاطة بكل الأسرار والمقاصد الباطنية . ويذكر الكتاب المقدس " الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر " (يوحنا 1 :18) . ولم يقل الكتاب إن الابن كان في حضن الآب ، أو سيكون في حضنه ، بل يقول "الذي هو في حضن الآب" . وحين نقول إن المسيح ابن الله ، نعني أنه من ذات الله ، نور من نور ، إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق ، واحد مع الآب في الجوهر .

ويخطئ من يختلط عليه أمر البنوة في الثالوث ، مع تجسد الابن (ولادة الابن في الجسد ، من القديسة العذراء مريم) ، فعبارة مولود غير مخلوق تنسحب على الأزل ، أي أن الابن مولود من الله في الأزل ، وذلك بالطبع قبل أن يتخذ الابن جسداً ويُولد في ملء الزمان ؛ ولأن علاقة البنوة في الثالوث علاقة سرمدية غير متغيرة ، فالابن لم يصر ابناً بالتجسد ، أو بالقيامة ، ولم يصر ابناً باللقب فقط ، أو لمدة مؤقتة ، أو لهدف معين فقط كالفداء .

إن البنوة في الثالوث تسبق الولادة ، يقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين "لأنه لمن من الملائكة قال قط :أنت ابني أنا اليوم ولدتك؟" (عبرانيين 1 :5) . إن في هذه العبارة "أنت ابني أنا اليوم ولدتك "

يمكن أن نلاحظ :ـ

أن الوحي يقول على لسان الله الآب ، في حديثه عن المسيح ابن الله ، "أنت ابني" قبل أن يستكمل الحديث فيقول "أنا اليوم ولدتك" ، ومنها نلاحظ أن البنوة تسبق الولادة ، فالمسيح ابن الله حتى قبل أن يُولد ، على عكس المفهوم البشري ، الذي فيه الولادة تسبق البنوة ، فلن يقال عن أب إنه أب قبل أن يُولد له ولد . أما الملاحظة الثانية ، فهي أن عبارة "أنت ابني أنا اليوم ولدتك" ، تُشير إلى أن الولادة تعني ظهور أو إعلان ما كان مخفياً ، فالمخفي يصير معلناً والغامض يصير واضحاً ، وهذا ما سبق أن أوضحه يوحنا بقوله : "الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر" (يوحنا 1 :18).

مرة أخرى نقول إن البنوة في الثالوث تأتي على الأساس الوظيفي ، فالابن يخضع للآب خضوعاً طوعياً وظيفياً ، وتصل ذروة هذا الخضوع في تتميم الابن لمقاصد الآب بالألم والصلب ، كانت صلاة المسيح للآب قبل الصلب :"يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عني هذه الكأس إلا أن أشربها فلتكن مشيئتك " (متى 26 :42)؛ كما أنها تأتي على أساس كياني جوهري ، بأن الابن من جوهر الآب أي واحد مع الآب في الجوهر .

التراتبية في عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم

من الأخطاء الشائعة في فهم عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم هو ما يُعرف بالمرتبية ، أو التراتبية ، وقد اعتقد الآباء اليونانيون أن الله الآب هو مصدر وجود باقي الأقانيم ، وعلى ذلك النحو يكون الآب أعلى مقاماً من الابن الذي بدوره هو أعلى مقاماً من الروح القدس .

لكن الأمر الصحيح أنه لا يوجد ما يسمى بالتراتبية في وحدانية الله المثلث الأقانيم من حيث الجوهر ، فالجوهر هو جوهر واحد ، وحين نقول بالتراتبية إنما المقصود به هو التراتبية الوظيفية فقط ، وهذا يظهر في مبدأ الخضوع بين الأقانيم ، ويظهر الخضوع واضحاً بين الأقانيم في حالتين :

أولاً : في علاقة الابن للآب : "*طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله* " (يوحنا 4 :34)

ثانياً : في علاقة الروح القدس للآب : "*وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد .. وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم* "(يوحنا 14 :16 ، 26) .

ثالثاً : في علاقة الروح القدس للابن : "*ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي* " (يوحنا 15 :26) .

رابعاً : في الاصطلاحات المستخدمة كتابياً : "ابن الله" ، "روح الله" ، "روح الابن" .

خامساً : لا تراتبية في وحدانية الله المثلث الأقانيم : وتأكيداً لمفهوم عدم التراتبية في الثالوث ، يأتي في الكتاب المقدس ذكر الآب ، أو الابن أو الروح القدس بدون ترتيب ثابت ، فنجد في :

(متى 28 :19) "*فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس* "

(لوقا 1 : 35) "*فأجاب الملاك : الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله* "

(2كورنثوس 13 :14) "*نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين* "

ويعني ذلك أنه لا يوجد ترتيب في الجوهر أو المقام في الثالوث . فإن قلنا الآب والابن والروح القدس ، نقول الحق ، وإن قلنا الروح والآب والابن ، أو إن قلنا الابن والآب والروح القدس نقول الحق أيضاً .

التعددية في الوحدانية

أن الكتاب المقدس ، يُقدم لنا الدليل على وجود التعددية ضمن الوحدانية في الثالوث ؛ وقد تحدث السيد المسيح في أكثر من مناسبة ليؤكد هذه التعددية في الثالوث ، فيقول :"أنا والآب واحد" (يوحنا 10 :30) ؛ ومرة أخرى لم يتردد المسيح في الإعلان عن التعددية في الثالوث ، حين قال عن نفسه والآب والروح القدس :"إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً " (يوحنا 14 : 23) .

يؤكد الكتاب المقدس على أن الآب هو الله ، "*الله الآب ..* "(يوحنا 6 :27) ، والابن هو الله ، "وأما عن الابن : "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور "(عبرانيين 1 :8) ؛ والروح القدس هو الله ، "فقال

بطرس : يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس .. أنت لم تكذب على الناس بل على الله " (أعمال 5 :3- 4) .

*من هذا نرى أن الآب هو الله ، الابن هو الله ، الروح القدس هو الله ، لكن يبقى أن الله ليس هو الآب (بل أكثر من ذلك) ، وهكذا الله ليس هو الابن وليس هو الروح القدس .

*الآب ليس الابن وليس هو الروح القدس ، هناك تميز بين الأقانيم .

*إن التعددية في الوحدانية ليست هي تعددية جوهر ، فجوهر الله واحد .

*والتعددية لا تعني أن هناك ترتيباً بين الثالوث ، لا زمنياً ، ولا مقاماً ، إنما كل أقنوم متساوٍ مع الأقنومين الآخرين ، في القوة والحكمة ، والمجد ، وكل صفات الألوهية .

وتبقى التعددية ضرورة للتعبير عن وحدانية الله ، فوجود صفات في الله يتطلب وجود علاقة ، لأن ممارسة الصفة يُفترض أن تكون بين فاعل ومفعول به ، وإذ نؤمن بأن الله واحد ، مكتف وكامل في ذاته فهذا يعني أن الله كامل ومتكامل قبل وجود الخليقة ، ولأن صفات الله موجودة بوجوده ، وبما أن الله لم يكن في حاجة لأن يعتمد على الخليقة لكي يمارس صفاته ، لما في ذلك ما يجعله متغيراً فإننا ينبغي أن نُسلم بأنه يوجد في الله الفاعل والمفعول به ، بالإضافة للفعل ذاته ، فمثلاً لممارسة صفة المحبة ، لابد وأن يكون في الله ، الحب والمحب والمحبوب .

وفي حديثنا عن التعددية في الوحدانية ، لا يمكننا التكلم عن العدد في الله ، وإنما يجب أن تبقى معرفتنا به محصورة في الإطار الذي كشف به الله عن نفسه ، فإذ كان الله قد كشف لنا عن كونه آباً وابناً وروح قدس ، فينبغي أن نُخضع معرفتنا لإعلان الله ، ولا نُخضع إعلان الله لمعرفتنا العاجزة عن إدراك ما يفوقها من خبرة .

لماذا يتعين على وحدانية الله أن تكون ثلاثية ؟

نعلم يقيناً أن الله موجود ولكل موجود صفات وإلا لما كان موجوداً . ولما كنا نؤمن بأن الله موجود منذ الأزل ، فإن صفاته موجودة منذ الأزل أيضاً . ومن البديهي ألا نقول بأن هناك وقتاً لم يمارس فيه الله صفاته ، لأن هذا يعني أن تغييراً قد حدث في الله ، وهذا غيرجدير بالله غير المتغير .

وإن قلنا إن صفات الله كانت كامنة فيه ، في انتظار الخليقة حتى تنشط هذه الصفات ، يكون الله غير معتمد على ذاته ، ويكون محدوداً بحدود خارجة عنه ، وحاشا لنا أن نقول إن الله محدود بحدود الخلق !

يشرح الدكتور عماد شحاده هذا الأمر فيقول :"بما أنه يجب أن تكون هناك تعددية لممارسة الصفات بدون الخليقة ، وبما أن كل شخص ضمن التعددية يجب أن يعمل كفاعل وكمفعول به في مشاركة العلاقة المتبادلة ، وحتى تكون هناك كل أشكال الشركة بين الأشخاص ، يجب أن يكون هناك عمل مشترك بالإضافة إلى عمل فردي ، فهناك الحاجة الضرورية لاثنين أن يشتركا في دور الفاعل أو

المفعول به ، وهذا يتطلب وجود ثالث يعمل كمفعول به ، أو كفاعل بالترتيب ، عدم وجود الثلاثية يفقد العلاقة صفة الاشتراك والشركة ، والتي هي صفة أساسية وضرورية للعلاقة الكاملة السرمدية إن كل ما هو مطلوب للعلاقة المتبادلة والمشتركة والكاملة يستوفي في العدد ثلاثة . فإن في العدد "ثلاثة" تمثيلاً لكل العناصر المشتركة في العلاقة المتكاملة . فمثلاً ، يشترك الآب والابن بدور الفاعل في عمل مشترك في ممارسة المحبة الأبدية ، ويكون الروح القدس هو المفعول به ؛ أو يشترك الابن والروح القدس بدور الفاعل في عمل مشترك بحيث يكون الآب هو المفعول به وقد يكون الآب بدور الفاعل حيث يشترك الابن والروح القدس بدور المفعول به ، لا يمكن أن يكون هناك أقل من ثلاثة .

ويكتب الأستاذ عوض سمعان ، مؤكداً " إن عدد الأقانيم هو أول عدد كامل جامع ، لا يمكن لأقل منه أن تتوافر فيه خصائص الوحدانية الجامعة المانعة ، وهذا العدد كما نعلم هو "ثلاثة" ، كما أن هناك اعتقاد عام بين البشر أن العدد 3 هو أول عدد كامل ، ففي أمثالنا نقول :" الحبل المثلوث لا ينقطع " ، و" كل شئ بالثالث يُكمل " ، و"الثالثة ثابته" ، وفي الرياضيات أول شكل هو ما له ثلاثة أضلاع وأول حجم هو ما الذي له ثلاثة أبعاد .

مرة أخرى نؤكد أن الثالوث ليس معادلة حسابية ، تجمع بين الآب والابن والروح القدس ، ويكون ناتج هذا الجمع ثلاثة آلهة ، لكن الإيمان المسيحي يؤكد أن ثالوثية الله ، هي عين ذاته أو بمعنى آخر هو في ذاته .

لقد كتب أحد رجال الله قائلاً :"إن من يحاول أن يفهم الثالوث يفقد عقله ، ومن يحاول تجاهل الثالوث يفقد حياته ، وهناك اختلاف بين ما يسمو عن العقل ، وما لا يتفق معه . وهناك الكثير مما يسمو فوق عقولنا أو إدراكنا ، ولا نستطيع أن نُلم بتفاصيله ، لكنه يتفق مع العقل ، وإن كان أسمى من إدراكه .

وكمحاولة باهتة نحاول هنا أن نشرح بأمثلة وتشبيهات توضيحية ما يساعد عقولنا على إدراك ما يسمو عنها ، لكنه يتفق تماماً مع العقل من جهة ، ومع الإعلان الإلهي من جهة أخرى .

ولتوضيح إمكانية وجود تعددية في الوحدانية نطرح بعض الأمثلة التوضيحية :

1)مثال الماء : من المعروف أن الماء يوجد في حالات ثلاث ، حالة التجمد ةهي ما تعرف بالثلج ، والحالة السائلة وهي ما تعرف بالماء ، وحالة التبخر وهي ما تعرف بالبخار ، ومع تعدد هذه الصور إلا أن الماء يبقى ماءاً ذا تركيب كيميائي واحد .

2)مثال الشمس : تتكون الشمس من حرارة وأشعة ونور ، لكنها كيان واحد .

3)قواعد اللغة : لا يخرج الكلام عن أحد الضمائر الثلاثة ، المتكلم والمخاطب والغائب .

4)الحياة على كوكب الأرض : إما جوية أو بحرية أو أرضية .

عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم في المجامع المسكونية

لم تأتِ لفظة ثالوث في الكتاب المقدس ، ومع ذلك آمن التلاميذ والرسل المؤمنون في الكنيسة الأولى بهذه العقيدة . وكان ذلك دون الدخول في تفصيلاتها ، لكن مع انتشار المسيحية ، وظهور البدع والهرطقات ، كان على الكنيسة أن تتخذ موقفاً موحداً ومناسباً لإعلان حقائق الإيمان المسيحي من جهة ، وللرد على الهرطقات ، وحفظ الإيمان المسيحي القويم ، من جهة أخرى . لذلك جاءت المجامع المسكونية ، وهي تجمعات لقادة الكنيسة حدثت لدراسة بعض التحديات التي تواجه العقيدة المسيحية ، أو لتأكيد هذه العقائد ، وغير ذلك . وما تقره هذه المجامع يُسمى "قانون إيمان" .

1)قانون الإيمان الرسولي :

هذا القانون لم تجتمع الكنيسة لتضع أسسه ، لكنه نشأ بالتدريج وجُمع من العبارات التي كانت الكنيسة تستخدمها وقت ممارسة المعمودية .

وبالرغم من أنه لم يأتِ كنتيجة لاجتماع لقادة الكنيسة ، أو للرد على بدعة أو هرطقة معينة ، إلا أنه يؤكد على حقيقة الثالوث ، بالحديث عن الآب ضابط الكل ، ويسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا ، والروح القدس .

2)قانون الإيمان النيقاوي :

جاء هذا القانون نتيجة للمجمع المسكوني الأول في تاريخ الكنيسة ، الذي عُقد في مدينية نيقية سنة 325م ، وقد حضره قادة الكنيستين الشرقية والغربية ، للرد على بدعة آريوس ، الذي كان ينادي بعدم مساواة الابن بالآب ، واعتبار الابن مخلوقاً من خلائق الله ، فكان رد الكنيسة بوجوب انعقاد هذا المجمع ، وإصدار قانون إيمانه المعروف ب "قانون الإيمان النيقاوي" .

ولقد حظى هذا القانون بموافقة جميع الحضور حتى الآريوسيين أنفسهم ، ولقد تم التشديد في هذا القانون على مساواة الابن بالآب في الجوهر ، أن الابن مولود غير مخلوق ، إن من يُخالف هذا الإجماع وهذا القانون يُعتبر مخالفاً للإيمان المسيحي ، ويُعتبر محروماً من الكنيسة ، ولقد نُفي على أثر هذا المجمع آريوس وأتباعه .

3)قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني :

التأم هذا المجمع في مدينة القسطنطينية سنة 381م ، وكان للرد على بدعة المكدونيين الذين أنكروا لاهوت الروح القدس ، ويعتبر هذا القانون تنقيحاً لقانون الإيمان النيقاوي ، مع بعض الإضافات الخاصة بالروح القدس ، لذلك سمي بقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني .

ومن أهم الملاحظات التي وردت عن هذا القانون :

*حدث تغيير جزئي غير مؤثر في بداية القانون ، فقيل عن الله خالق السماء والأرض ، بدلاً من خالق كل الأشياء .

*لم يحدث تغيير جوهري في التعبير عن الإيمان بلاهوت الابن ، وظل التأكيد على أن الابن مولود غير مخلوق ، وهو مساوٍ (واحد) مع الآب في الجوهر .

*أضيف بعض العبارات التي تؤكد إيمان الكنيسة بلاهوت الروح القدس ، وعمله ، كأحد أقانيم اللاهوت .

*حُذفت اللعنة الموجودة في الجزء الأخير من قانون الإيمان النيقاوي .

*صدّق مجمع خلقدونية سنة 451م على هذا القانون في صورته المذكورة .

*جاء مجمع توليدو سنة 589م ليؤكد هذا القانون ، مع إعادة عبارة "إله من إله" التي كانت موجودة في قانون الإيمان النيقاوي ، كما أضافت لفظة "الابن" ، بعد عبارة "الروح القدس الرب المُحيي المنبثق من الآب" .

*تعترف الكنيسة الكاثوليكية والإنجيلية بنص قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني ، بعد التعديلات المُدخلة عليه في توليدو .

*تعترف الكنيسة الأرثوذكسية بالقانون النيقاوي القسطنطيني .

4)<u>قانون الإيمان الخلقدوني</u> :

جاء هذا المجمع للرد على بدعتي أفتيخوس ، ونسطور ، وقد دعا إليه الإمبراطور مارسيانوس سنة 451م ، وبحضور 630 أسقفاً ، وسُمي هذا القانون ب"قانون الإيمان الخلقدوني" ، ولقد أكد هذا القانون على لاهوت الابن ، وأنه واحد مع الآب في الجوهر ، كما ناقش هذا المجمع وجود طبيعتين في الابن ، فمن جهة لاهوته فهو واحد مع الله في الجوهر ، ومن جهة الناسوت فهو إنسان كامل ، ولقد أكد هذا المجمع على عدم امتزاج الطبيعتين في المسيح ابن الله ، وذلك على عكس ما كان يُعلم أفتيخوس (أوطيخوس).

مشكلات لا يحلها إلا الإيمان بعقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم

السؤال الذي يطرح نفسه : لماذا الإيمان بالثالوث ، طالما أننا نخلص في النهاية للإيمان بوحدانية الله ؟ أليس من الأجدر والأسهل أن نقول نؤمن بالله الواحد وكفى ؟! ورداً على هذا التساؤل ، نذكر بعض المشكلات التي لا تجد حلاً لها إلا في الإيمان بعقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم :

1)<u>لا وجود للواحد الفرد</u> : ربما يعتقد من يقولون إنه لا لزوم للدخول في تعقيدات لاهوتية وفلسفية والاكتفاء بالقول بالإيمان بالله الواحد من دون إدراك ماهية هذه الوحدانية ، أنهم بذلك يُبعدون عن أنفسهم عناء التفكير والتأمل في هذا الواحد الذي يؤمنون به ، من وجهة نظرهم .

لو أدرك القائلون بالاكتفاء بالقول إن الله واحد وكفى ، لأدركوا أن الواحد لا يكون واحداً إلا إذا كان متميزاً بمميزات تعينه "أقانيم" ، وتظهر حقيقته ، هذه المميزات ليست عناصر أو أجزاء في الله ، لأنه لا تركيب فيه ، بل هي خصائص أصلية ذاتية ، وبدونها لا يكون إلهاً حقيقياً .

2)وحدانية الله ليست وحدانية مجردة أو مطلقة : قد يعتقد البعض أن القول بوحدانية مجردة لله ، تحل هذه المشكلة ، لكن الواقع أنه لا توجد وحدانية مجردة ، لأن الوحدانية المجردة لا تتصف بصفات والإله الذي لا يتصف بصفات ليس إلهاً ، لأنه ليس بموجود .

وقد يلجأ البعض الآخر للقول بوحدانية الله المطلقة ، ورأينا فيما سبق أن الوحدانية المطلقة تُدخلنا في مشكلات التغيير في الله ، وكما قلنا حاشا لله من التغير .

3)صفات الله الأزلية : ندرك أن الله موجود ، وكل موجود لابد وأن يتصف بصفات ، وإلا ما كان موجوداً ، ووجود الصفات في الله الواحد ، تجعلنا نتساءل : متى وُجدت الصفات في الله ؟ هل بعد الخلق أم قبله ؟

فإذا كانت صفات الله ليست موجودة منذ الأزل لكان تغير قد حدث في الله ! وإن كانت موجودة منذ الأزل ، فهل كانت هذه الصفات عاملة أم تنتظر الخلق ، لأنه إن كان الله لم يمارس صفاته إلا بعد وجود الخليقة ، سنصل إلى نفس النتيجة بأن الخليقة أحدثت تغييراً في الله ، وإن قلنا بأن الله كان يُمارس صفاته قبل الخلق ، يكون السؤال : ومن ذا الذي كان موجوداً غير الله ؟ وتكون الإجابة إما أن هذا الغير كان إلهاً مع الله ، عندئذ نكون بذلك أخطأنا وآمنا بوجود إلهين (كالأثنية) ، وندخل في الكثير من المشكلات التي تتعارض مع الإيمان بوحدانية الله .

إن الله وحتى قبل أن يخلق العالم كان ومنذ الأزل يمارس صفاته مع ذاته ، فهو العلم والعالم والمعلوم ، وهو الحب والمحبة والمحبوب ، وهذا يجعلنا نؤمن بوحدانية الله الجامعة لتعينات "أقانيم" ومع ذلك فهي الوحدانية المانعة للتعدد في الجوهر الإلهي .

4)إعلان الله والتجسد : إن الإيمان بوجود الله يعني الإقرار ضمناً بمعرفتنا بوجود هذا الإله ، فمن أين لنا بمعرفة الله ؟!

يكتب عوض سمعان "ليس من المعقول أن يكون هناك إله يرضي أن يكون مجهولاً منا ، لأنه إذ كان هو الخالق لنا ، فمن المؤكد أن يكون كائناً عاقلاً ، وإذا كان كائناً عاقلاً ، فمن المؤكد أنه لا يرضى أن نُحرم من معرفته . فإن كان بسبب قصورنا الذاتي لا نستطيع أن نعرف شيئاً عنه من تلقاء أنفسنا ، لكن يجب أن نتوقع بكل يقين أن يُعرفنا هو شيئاً كافياً عن ذاته " .

وإن كان الله يملك القدرة على أن يُعرفنا شيئاً عن نفسه ، فلا يجب أن نُحد الله في طريقة ما ، بدونها لا نقبل أن نعرفه . وقد أعلن الله عن ذاته في الطبيعة والخليقة ، ويقول الكتاب المقدس أيضاً "السماوات تُحدث بمجد الله والفلك يُخبر بعمل يديه " (مزمور 19 : 1) ، كذلك التاريخ يشهد عن أعمال الله ، وقد أعلن الله عن ذاته عن طريق الأنبياء ، وأخيراً كلمنا في ابنه .

قال أحد المفكرين : "إن الله إذا أراد أن يتواصل مع الطيور لصار طيراً ، وإن أراد أن يتواصل مع الإنسان لصار إنساناً ، وهذا ما حدث في التجسد " ، ففي التجسد لا نقول بأن الإنسان يسوع صار إلهاً ، وهذا هو المستحيل قولاً وعملاً ، لكننا نؤمن بأن الله صار إنساناً ، وحل بيننا ، ورأينا مجده ن مجداً ما لوحيد من الآب . وهذا هو الممكن ، لأنه في قدرة وإمكانية الله ، جل شأنه .

5)إن كان المسيح هو الله ، فكيف يموت ؟ :

يرى الكثيرون في تجسد الابن وصلبه وموته ، صعوبة لا يقبلها العقل ، لأنه إن كان المسيح هو الله ، فكيف يموت ؟ وهل الله يموت ؟ ومن الذي كان يُدير الكون أثناء موته ؟.

يكتب قداسة البابا شنودة في كتاب "سنوات مع أسئلة الناس " ، فيقول : إن الله لا يموت اللاهوت لا يموت ، لكن السيد المسيح في تجسده ، كان متحداً بالناسوت ، وناسوته ، مكون من الجسد البشري متحداً بروح بشرية ، بطبيعة مثل طبيعتنا قابلة للموت ، لكنها متحدة مع الطبيعة الإلهية بغير انفصال ، وعندما مات على الصليب ، إنما مات بالجسد ، بالناسوت .. وموت المسيح لم يكن ضعفاً ، ولم يكن ضد لاهوته ، لأن اللاهوت حي بطبيعته لا يموت ، كما أنه شاء لناسوته أن يموت كمحرقة سرور وأيضاً لفداء العالم .." .

وللإجابة عمن كان يُدير الكون أثناء موت المسيح ، يقول البابا شنودة :"لاهوته كان يُدير الكون اللاهوت لا يموت ، الذي لم يتأثر إطلاقاً بموت الجسد .. اللاهوت الموجود في كل مكان ، الذي هو أيضاً في السماء " .

إن من مات على الصليب هو الابن في الجسد ، لم يمت الآب ولا الروح القدس على الصليب ، وحتى الابن لم يمت إلى الأبد ، بل قام منتصراً ظافراً قاهراً شوكة الموت .

وفي ختام هذه الدراسة نود أن نشير إلى سؤالين هامين في هذا السياق ، وهما :

ما هي أهمية عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم ؟

ما هي فعالية الإيمان بعقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم في حياتنا المسيحية ؟

وفي أجابتنا عن أهمية عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم نقول : أنه بعد كل ما تم عرضه نستطيع الآن التعرف إلى مدى أهمية عقيدة الثالوث ، ليس في الإيمان المسيحي فحسب ، بل في علاقة الإنسان بالله :

1)هي الطريقة التي اختارها الله للإعلان عن نفسه لخلائقه .

2)وحدانية الله المثلث الأقانيم عقيدة كتابية .

3)عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم تعلن لنا الحب الإلهي الأزلي .

4)عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم توضح كمالات الله .

5)بدون عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم لا يستطيع الإنسان معرفة الله معرفة شخصية .

6)عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم تشرح عملية الخلق والفداء والتقديس .

7)عقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم محور الخدمة والكرازة المسيحية .

أما عن فعالية الإيمان بعقيدة وحدانية الله المثلث الأقانيم في حياتنا المسيحية ، فنقول أن هذا الإيمان له فعاليته في تطوير وتشكيل أسلوب الحياة اليومية التي يجب أن يعيشها المسيحي ، وهنا نذكر بعض فعاليات الإيمان بوحدانية الله المثلث الأقانيم في حياة الإنسان المسيحي ، ومنها :

1)الحياة كأبناء الله .

2)حياة الصلاة والتواصل مع الله .

3)التمتع بحياة الغفران والقداسة .

4)إيماني بالثالوث والفرائض المسيحية .